أثر البيئة النفسية لصانع القرار على توجهات السياسة الخارجية الفرنسية "نيكولا ساركوزي نموذجا"

الأستاذة / حلوي خيرة ،جامعة سعيدة

مقدمة:

مع منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، قامت الثورة السلوكية *Behaviorism* * بإعادة نظر حاسمة للمفاهيم والتّصورات التي كرستها المنظورات التّقليدية في دراسة السياسة الخارجية، وعلى رأسها تغليب التحليل الوصفي – المعياري للظاهرة واعتبار المؤسسات كيانا مجرداً عن سياقاته الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية ، السياسية والسيكولوجية.

فحصرُ التّحليل في هذا الحيز الرسمي الضّيق لا يفي الدّراسة حقها من التفسير، ومن ثمة وجبت إعادة النظر إلى مفهوم السياسة الخارجية كعملية حيوية يتجاوز تحليلها حدود القوالب القانونية الجاهزة إلى تحليل كلي قادر على استيعاب مجموعة من الأدوار والقضايا والفاعلين الرسميين وغير الرسميين داخل الدولة وخارجها، وهو الإسهام العلمي الذي قدّمته مدرسة تحليل السياسة الخارجية FPA في هذه المرحلة متمكنة من بناء مجموعة من نظريات صنع القرار في السياسة الخارجية، والتي تصنف في فئة النظريات الجزئية في العلاقات الدولية *middle-range theories* .

وبناء عليه، يقتضي تحليل السياسات الخارجية للدول تحديد فواعل الثّالوث البيئي الذي يشارك في عملية صنع القرارات ويشمل البيئة الداخلية *Intra-societal environment*، البيئـــة الخارجية *Extra- societal environment* والبـــــيئة النفسية لصناع القرار *Psychological environment*[1] . وستركز هذه الدراسة على المحددات النفسية (السيكولوجية) المؤثرة على توجهات السياسة الخارجية للرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي من خلال التطرق إلى خلفياته الإجتماعية، الثقافية والفكرية، توجهاته السياسية والإيديولوجية، درجة الخبرة والتمرس السياسي، تصوراته، إدراكاته وعقائده حيال مكانة فرنسا في النظام الدولي والإقليمي ونمط تحالفاته وولاءاته الدولية.

وتتمحور الإشكالية الرئيسية للدراسة حول :

ما مدى تأثير متغير العوامل الشخصية لصانع القرار على مستويات الاستمرارية والقطيعة في السياسة الخارجية الفرنسية ؟

وستتم الإجابة على هذه الإشكالية من خلال الخطة التالية :

---

[1] - *Alex Mintz and Karl Deroun ,**Understanding Foreign policy decision making** (New York : Cambridge University press ,2010) , P.03.*

1 – المقاربات السيكولوجية في تحليل السياسة الخارجية

1- 1 نموذج مايكل بريتشر

1- 2 نموذج هولستي

2 - النسق العقيدي للرئيس ساركوزي وتوجهات السياسة الخارجية الفرنسية (2007-2012): حدود الإستمرارية والقطيعة

2-1 العقائد الفلسفية للرئيس ساركوزي

2-2 العقائد الأدائية للرئيس ساركوزي

1 - المقاربات السيكولوجية في تحليل السياسة الخارجية*:

تندرج الإسهامات الفكرية لكلّ من مايكل بريتشر *Michael Brichrer* ، أولي هولستي *Ole Holsti* ، مارغريت وهارولد سبراوت *Margaret and Harold Sprout*... وغيرهم، ضمن المقاربات السيكولوجية(الإدراكية) *cognitive aproaches* وقد ركزت جهودها على التّفرقة الواضحة بين مفهوم البيئة الموضوعية (العمليّة) لصنع القرار *Operational environment* التي تشمل "المحددات الداخلية والخارجية للنّظام (مادية ، اجتماعية ،

* من أبرز الكتابات الأكاديمية لرواد هذه المقاربات النفسية - الإدراكية انظر:

- *Harold Sprout and Margaret Sprout,* ***Man – milieu relationship hypotheses in the context of international politics*** *(Princeton: N J Press university press, 1956).*
- *Michael Bricher,* ***The foreign policy system of Israel: settings, images, process*** *(London: Oxford University press, 1972).*
- *_____, «Elite images and foreign policy choices»,* ***Pacific affairs****, XL, Spring and summer 1967, PP.60-92.*
- *Michael Bricher, Belma Steinberg and Janice Stein, " A framework for research on foreign policy behavior ",* ***journal of conflict resolution*** *,X lll ,March .1969,PP.75 101.*
- *Ole .R.Holsti ,* ***The belief system and national images: John Fiester Dulles and The soviet Union*** *(Unpublished Ph.D.dissertation , Stanford University , 1962).*
- *_____," The belief system and national images: a case study " ,* ***The journal of conflict resolution****, VI,Sep.1962.*
- *_____,," Cognitive dynamics and images of The enemy, Dulles and Russia " in :David Finlay , Ole Holsti , Richard Fagen (eds) ,* ***Enemies in politics*** *(Chicago : Rand MC Nally , 1967) , PP.25-96.*
- *_____, ,"Models of International relations and foreign policy ",* ***Diplomatic history*** *, Winter 1989 , PP.14-35.*

سياسية ...)"، و بين مفهوم البيئة النفسية التي تعكس "تصورات الأفراد صناع القرار للواقع الموضوعي وفقا لقناعاتهم واعتقاداتهم الشّخصية لا الفعليّة".[1] وانطلاقاً من هذا الطرح، لا يتصرف صانع القرار وفقاً للواقع *reality* ولكن وفقا لتصوره للواقع *Perception of reality*.[2]

1.1 نموذج مايكل بريتشر

يقسم مايكل بريتشر بنية البيئة الموضوعية (العملية) إلى بيئة داخلية تشمل مجموعة من المحددات الموضوعية المادية التالية: القدرات العسكرية *Military capabilities* ، القدرات الاقتصادية *Economic capabilities* ، البناء السياسي *Political stucture* جماعات الضغط والمصالح واللوبيات *Interest Groups , Lobbies* والنّخب المتنافسة *Competiting elites*.[3] والى بيئة خارجية (دولية) تشمل مجموعة من تفاعلات النظام الدولي على المستوى الحكومي وغير الحكومي، ونمط الأحلاف و بنية النظام الدولي.

أما البيئة النفسية فيقسمها بريتشر إلى: التوجهات الشّخصية لصناع القرار *Attitudinal prism* وهي جملة من التوجهات الفردية المستمدة من استعداداتهم وخصائصهم الشخصية، والمتأثّرة في جزء كبير منها بنمط إيديولوجياتهم وتوجهاتهم الوطنية والسياسية وكذا بالميراث التاريخي للأمة عموماً.[4] وتصورات النخبة *Images of The elite*[5] التي تمثل – إضافة إلى المؤثرات الشّخصية للقادة - تلك المسافة الفاصلة بين تصورات النّخبة السياسية للواقع الدولي وحقيقته الفعلية.

---

[1] - *Harold Sprout and Margaret Sprout, «Environmental factors in The study of international politics» in: James Rosenau (ed),* ***International politics and foreign policy*** *(New York: free press, 1969) PP.106 – 113.*

[2] - *Jerry Don Gilbert,* ***John Foster Dulles ' perceptions of The people 'S republic of China: a study of belief systems and perception in The analysis of foreign policy decision making*** *(Unpublished dissertation in political sciences) , Texas tech University ,Dec .1973, p.28.*

[3] - *Michael Bricher , Belma Steinberg and Janice Stein , " A framework for research on foreign policy behavior " ,* ***Journal of conflict resolution*** *, X lll, March 1969, P.11.*

[4] - "*The attitudinal prism is partly made Up of The idiosyncratic qualities of individual decision makers (Personality factors) and in greater part , The influences derived from ideology , national Character and historical legacy".*

[5] - *" Elite image is The decisive input of a foreign policy system , because decision makers act in accordance With Their perception of reality , not in response to reality itself".*

ويولي بريتشر*Bricher* أهمية قصوى في نموذجه لدور شبكة الاتصال (وسائل الإعلام ، التقارير الرسمية ، المقابلات ،...) في نقل المعلومات من البيئة الموضوعية (العملية) بشقيها الداخلي والخارجي إلى صنّاع القرار الذين يعالجونها وفقاً لتصوراتهم وأنساقهم العقيدية ، ومن ثمّة صياغتها على شكل قرارات.

2.1 نموذج هولستي

يعتبر هولتسي *Holsti* أحد أهمّ رواد المقاربة الإدراكية في تحليل السياسة الخارجية، وذلك من خلال تمكّنه من إثراء هذا الاتجاه التحليلي بمجموعة من مفاهيم الأساس التي تتكون منها البيئة النفسية لصانع القرار لاسيما مفهوم النسق العقيدي *Belief-system*، الصور النمطية *Misperception* ، الصور المتبادلة *Mirror images* واقتراب الدور *role aproach.*

يعرف هولستي الأنساق العقيدية في السياسات الخارجية باعتبارها "شاشات إدراكية يتمّ من خلالها تفسير بعض الأحداث والمواقف، تجاهل بعضها الآخر أو إعادة تفسيرها، وهي أنساق غير عقلانية وغير محايدة لأنها تمثل تلك المسافة الفاصلة بين حقيقة الموقف في صورته الموضوعية الحقيقية وبين الانطباعات الذاتية التي يخزّنها صناع القرار عنه في ذاكرتهم أثناء بحثهم عن البديل الأنسب، ويساعد الإيمان بنسق عقدي معين على رصد درجات الثّبات والاستمرارية للسياسات الخارجية المستقرة الأهداف".[1]

كما يعرف التّصورات *images* باعتبارها "انطباعات أولية عن موضوع أو حدث معين تطبعها سمة العمومية والسّطحية في التعامل مع هذا الموقف، رغم استنادها إلى خبرة اجتماعية وتاريخية طويلة في أذهان القادة والمجتمعات"[2] ، وغالبا ما تتطور هذه الصور وتصبح إدراكات *Perceptions* "تعبر عن وعي الفرد بالقضايا الموضوعية المرتبطة بموقف معين وفقاً لتحيزاته وانطباعاته الذاتية السابقة" ، وقد ترتقي إلى مستوى العقائد *beliefs* الراسخة والتي تعرف على أساس أنها" أحكام إحتمالية ذاتية – صريحة أو ضمنية- تصف العلاقة بين الشيء (الظاهرة) المُعْتَقَد وبين صفات معيّنة تحتفظ بها ذاكرة المُعْتَقِد* "، وأما القيم Values فهي "مبادئ وتصورات مثالية يعتبرها الأفراد أرقى ما يمكن

[1]- لويد جنسن ، **تفسير السياسة الخارجية** ، تر: محمد بن احمد المفتي ومحمد السيد سليم (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، 1989) ، ص.85.

[2]- محمد السيد سليم، **تحليل السياسة الخارجية** (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1997)، ص.398.

* *«Beliefs are, in essence, that we hold to be true ". In: Johathan Renshon ,"Stability and change in belief systems: The operational code of George w.Bush " , **Journal of conflict resolution** , Vol .52,N.6,2008, P.822.*

الإيمان به (الحرية ، العدالة ، المساواة،...)".[1] و يعتقد هولتسي أنّ الصراع بين السياسات الخارجية للدول ليس بين الدول في حدّ ذاتها ، بقدر ما هو صراع بين الصور النمطية (المشوهة) عن هذه الدول.[2]

وعموما ، يفرق هولتسي – وفقا للمنهج الإجرائي *The operational code* -* بين بعدين مهمين في تكوين النسق العقيدي لصناع القرار :

1. البعد المعرفي (الفلسفي) للنسق العقدي :

ويتكون من مجموعات من المعتقدات الفلسفية والأفكار التي تحدد نمط إدراكات الموقف لدى صانع القرار ومدى مواءمة المعلومات الواردة إليه مع اعتقاداته، ممّا يؤدي إلى حالة اتّساق معرفي *Cognitive consistency* ، أو تناقضها معه مما يؤدي إلى حالة اختلال معرفي *Cognitive dissonance* ، وهو ما يجعله يتبع وفقها خياراً انتقائياً *Selective perception* يحتفظ من خلاله بما يتسق واعتقاداته ويتجاهل ويغفل ما لا يتسق منها.[3]

2. البعد التفضيلي (الأدائي) المباشر للنسق العقدي :

---

[1] - محمد السيد سليم ، **مرجع سابق** ، ص ص. 399- 400 .

[2] - *"International Conflicts frequently is not between states, but rather between distorted images of states"in: Ole R.Holsti, " The belief system and national images: a case study " , **Conflict resolution** , Vol .VI , N°-3, P.244.*

* المنهج الإجرائي *operational code*: مفهوم استعمله لأول مرة عالم النفس ناتان لايت *Laites Nathan* عام 1951، و استعاره إلى حقل الدراسات السياسية ألكسندر جورج*Alexander George* عام 1969 في مقالة تحمل عنوان :

«The Operational Code: a neglected approach to The study of political leaders and Decision – makers".

و يتكون من شقين من الأسئلة الخاصة التي يستعملها الباحث لمعرفة توجهات صانع القرار :

أ- **بعد فلسفي *Philosophical***

1. ما هو واقع الحياة السياسية؟ هل هي عالم متجانس أم متصارع؟
2. ما هي الطبيعة الأساسية للعدو السياسي ؟
3. ما هي احتمالات تحقيق الأهداف و الآمال السياسية للأفراد ؟ هل تأخذ سمة التفاؤل أم التشاؤم؟
4. هل يستطيع الأفراد ضبط السيطرة على التطور التاريخي ؟
5. ما هو دور الصدفة في التطور التاريخي ؟

ب- **بعد أدائي *Instrumental***

1. ما هي أحسن مقاربة لاختيار الأهداف في الحياة السياسية و ما هو المسلك الأفضل لذلك ؟
2. ما هو حجم المخاطر جراء إتباع هذه الإستراتيجية ؟
3. ماهي أحسن الطرق لتحقيق الأهداف و المصالح ؟
4. ما هو التوقيت الأنسب للسلوك السياسي ؟

أنظر : محمد السيد سليم ، **مرجع سابق** .

[3] - **المرجع نفسه**، ص ص.408- 409.

ويحتوي على مجموعة من الإستراتيجيات والأدوات والتكتيكات التي يحدد من خلالها صانع القرار أولوياته وبدائله المفضلة في موقف معيّن، و إمكانية المخاطرة السياسية و درجة معرفته بواقع النسق الدولي وحجم الأعداء السياسيين وقدراتهم[1].

2 – النسق العقيدي للرئيس ساركوزي وتوجهات السياسة الخارجية الفرنسية (2007-2012): حدود الاستمرارية والقطيعة.

يمنح الدستور الفرنسي 1958 وفقا لآخر تعديلاته في 2008/07/23 صلاحيات واسعة لرئيس الجمهورية لا سيما في مجال صنع السياسة الخارجية، وهو ما يبرر أن أهم القرارات الإستراتيجية في فرنسا صنعت تاريخيا على يد رؤسائها مثل قرار الجنرال ديغول الانسحاب من الهياكل العسكرية لحلف الناتو في 1966/03/07 وإتباع إستراتيجية قائمة على وجود قوة فرنسية نووية مستقلة ورادعة، قرار فرانسوا ميتران المشاركة في حرب الخليج الثانية ضد العراق (1991)، وقرار جاك شيراك الرافض للحرب على العراق 2003[2].

ومن أهم الصلاحيات المخولة لرئيس الجمهورية في مجال السياسة الخارجية والتي نص عليها الباب الثاني من الدستور الفرنسي: ضمان استقلال الوطن، وحدة الأرض واحترام المعاهدات[3] ، تعيين واعتماد السفراء[4] ، رئيس الجمهورية هو رئيس القوات المسلحة ومجالس الدفاع [5] ، وفي الباب السادس الخاص بالمعاهدات والاتفاقات الدولية: إبرام المعاهدات الدولية، المصادقة والاطلاع عليها[6] ، الحق في منح اللجوء السياسي للأجانب المضطهدين أو لمن يلتمس حماية فرنسا لسـبب آخر[7] مع إمكانية إحالة معاهدة دولية على المجلس الدستوري[8]. وبالإضافة إلى المكانة الدستورية التي يحظى بها وحجم الصلاحيات السياسية المخولة له، يستمد رئيس الجمهورية الفرنسي مصادر تأثيره في مجال صنع السياسة الخارجية من استعدادته الشخصية وخصائص نسقه العقيدي *belief system* الذي يعكس تصوره الذاتي لمتغيرات البيئة الموضوعية.

---

[1]- **المرجع نفسه** ، ص.407.

1 حافظ علوان حمادي الدليمي، **النظم السياسية في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية** (عمان : دار وائل للطباعة والنشر، 2001) ، ص.157.

[3] المادة 05 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

[4] المادة 13 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

[5] المادة 15 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

[6] المادة 52 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

[7] المادة 53-1 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

[8] المادة 54 من الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

ينحدر الرئيس ساركوزي من أصول مجرية – يونانية يهودية *hyphenated frenschman*[1] من عائلة متوسطة ، ويتسم بخلفيات ثقافية وفكرية متواضعة مقارنة بسابقيه من رؤساء فرنسا من خريجي مدارس تكوين النخبة السياسية[2] ، فهو حاصل على دبلوم في الحقوق من جامعة نانتير عام 1978 وشهادة إجازة لممارسة المحاماة منذ 1981 . تتسم خطاباته السياسية بأنها الأكثر ميلا إلى " الشعبوية " *discours plus populiste*[3] وباستعمال أسلوب عفوي، بسيط ، أكثر قربا من المواطنين *discours de proximité*[4] ، وبالشخصنة القوية لهذه الخطابات *discours personnalisé*من خلال استعمال ضمير المتكلم « je » حوالي 17 مرة في 1000كلمة[5]، ومع ذلك ، فهو يعتبر هذه الاختلافات غير ذات أهمية، ويقدم نفسه على انه أولا وقبل كل شيء "مواطن الجمهورية الخامسة "[6] *citoyen de la v république*

اتسم مساره السياسي بالخبرة والتمرس من خلال تقلده عدة وظائف هامة قبل انتخابه رئيسا في 2007/05/16 بنسبة 53.06 % من الأصوات، فقد كان عضوا في مجلس مدينة *Nevilly-sur seine* ثم رئيسا للبلدية عام 1988، نائبا في الجمعية الوطنية عام 1989، نائب الأمين العام لحزب التجمع من اجل الجمهورية (1992-1993) ثم أمينا عاما للحزب نفسه (1998-1999) وذلك قبل أن يتولى تأسيس ورئاسة حزب الاتحاد من اجل الحركة الشعبية UMP (ما يعرف حاليا بحزب الجمهوريون *Les Républicains*منذ 2015/05/30) ، وزير المالية عام 1993 ، وزير الاتصالات والمتحدث باسم الحكومة عام 1994 ، نائب في البرلمان الأوربي 1999-2000، وزير الداخلية مرتين من 2002 إلى

---

[1] *Charles Cogan, « Les grands axes de la présidence Sarkozy à l'international », **Revue internationale et stratégique**, N.77, jan.2010, p.87.*

[2] كان الجنرال ديغول ذو معرفة عميقة بتاريخ أوربا ، أما فرانسوا ميتران فينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية للنخبة الفرنسية وهو خريج معهد الدراسات السياسية من جامعة باريس، كان سياسيا مثقفا واسع الاطلاع والتأثر بأهم الأدبيات الإيديولوجية الفلسفية اليسارية ، أما شيراك فهو خريج المدرسة الوطنية للإدارة وحاصل على شهادة من جامعة هارفارد الأمريكية.

[3] انظر :

- *Anne -Kate Kjolvik, **Une analyse du discours politique des chefs d'états Français et Norvégien a la suite d'un attentat dans leurs pays** (mémoire de master présenté a l'Université de Bergen, sept.2013), pp.91-93.*

- *Damon Mayaffre, **Nicolas Sarkozy, mesure et démesure du discours (2007-2012)** (Paris : presses de sciences politiques, 2012).*

[4] *Anne -Kate Kjolvik, **op.cit**, p.41.*

[5] *Louis- Jean Calvet et Jean Véromis, **Les mots de Nicolas Sarkozy** (Paris : éditions du seiul, 2008), p.40.*

[6] *Charles Cogan, **op.cit**, p.87.*

2004ثم من 2005 إلى 2007[1] . ورغم أن اهتمامه الرئيسي كان موجها للقضايا الداخلية لفرنسا خاصة قضايا الشغل، الهجرة والجاليات المسلمة، غير أن فترة رئاسته اتسمت بتوجهات قوية في مجال السياسة الخارجية واهتمام كبير بالقضايا الدولية أوربيا وعالميا[2].

2 .1 البعد الفلسفي (المعرفي) في النسق العقيدي للرئيس ساركوزي

رغم انتمائه السياسي والحزبي إلى تيار اليمين، غير أن ساركوزي كان ليبراليا براغماتيا متحررا من تأثير المبادئ الإيديولوجية،[3] ومعه بدا بوضوح أن السياسة الخارجية الفرنسية لفترة ما بعد الحرب الباردة بدأت تتجه نحو إحداث قطيعة مع مجموعة من الملفات والثوابت الإستراتيجية، وتتحول من الالتزام بمبادئ المذهب الديغولي* الذي هيمن عليها منذ 1958 إلى انتهاج أسلوب جديد مرتبط بتوجـــــــــهاته الشخصية اصطلح على تسميته ***Alberto Toscano*** ب"الساركوزية" ***LeSarkozysme***[4] .

وتبرز مظاهر التغيير في سياسته الخارجية على المستويات التالية :

1 – على المستوى الدولي :

التوجه نحو بناء تقارب فرنسي – أمريكي والتعاون مع إدارة جورج بوش الابن في حربها الدولية على الإرهاب، مما جعل منتقديه من اليساريين يصفونه ب" المحافظ الجديد "[5] ***néo –coservateur*** وهو ما يتناقض مع سياسة

---

[1] *Anne -Kate Kjolvik,* ***op.cit****, p .13.*

[2] *Gilles Andreani, « La politique étrangère de Nicolas Sarkozy »,* ***Annuaire français des relations internationales****, Vol.x, 2009, p.01.*

4 صلاح مصلح أبو ختلة، " اثر العوامل الشخصية في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا: دراسة حول سياسة الرئيسين شيراك وساركوزي" ، **مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات** ، ع.05، يوليو 2013، ص.247.

* الديغولية : مذهب سياسي doctrine ، ورؤية إستراتيجية vision stratégique حسب تعبير Maurice Vaisse ، في حين يعتبرها Serge Berstein ثقافة سياسية موغلة في التاريخ الفرنسي منذ قيام الجمهورية الخامسة على يد مؤسسها الجنرال ديغول الشخصية الوطنية القوية الأكثر تأثيرا في التاريخ المعاصر الفرنسي الهادف إلى بناء دولة قوية تتسم بالمجد والعظمة. والديغولية هي مذهب اقرب ما يكون إلى النظرية الواقعية في العلاقات الدولية من خلال تركيزه على ثلاثية القوة ، المصلحة الوطنية وتوازن القوى والبحث عن السمعة الدولية والمجد واستقلالية السيادة الفرنسية. للمزيد انظر :

- *Anne – Sophie Paquez,* ***La politique de la France au Kosovo était – elle « gaulliste » ? (****Genève : Publications Euryopa, 2003), p.03.*

- *Serge Berstein,* ***Histoire du Gaullisme*** *(Paris : Premium, 2001).*

- *Maurice Vaisse,* ***La grandeur : politique étrangère du général De Gaulle*** *(Paris : Fayard, 1998)*

[4] *Bruce Crumbley, « Le pragmatisme en politique étrangère : force ou faiblesse ? »,* ***Revue internationale et stratégique****, p.93.*

[5] *Gilles Andreani,* ***op.cit****, p.01.*

شيراك الذي قدم الصورة التاريخية لفرنسا باعتبارها "الحليف الأوربي الصعب الانصياع" للتبعية الأمريكية [1] *the most difficult of the US major European allies* وكان يفضل عالما متعدد الأقطاب، يحتكم أفراده إلى سلطة القانون الدولي والمؤسسات الدولية وعلى رأسها مجلس الأمن في طرح يتوافق والمنظور الليبيرالي المؤسسي. أما على المستوى العسكري فقد اخترق ساركوزي مبدأ النزعة الاستقلالية الدفاعية والأمنية لفرنسا منذ 1966 من خلال قرار العودة إلى هيكل القيادة العســــــــكرية لحلف الناتو عام 2009 والتوجه نحو "فرنسا أطلسية " .

2 – على المستوى الأوربي :

حرص ساركوزي على الحفاظ على علاقات قوية على مستوى المحور الألماني – الفرنسي، البحث عن تقارب مع روسيا، معارضة توسيع الاتحاد الأوربي شرقا والتوجه نحو الجنوب من خلال مشروع "الاتحاد من اجل المتوسط " ، الاستمرار في معارضة طلب انضمام تركيا للاتحاد الأوربي في وقت كانت تقود فيه دبلوماسية مضادة تحظى بقبول أكثر في منطقة الشرق الأوسط وجنوب المتوسط قبل 2011، وقد اتسمت رئاسة فرنسا للاتحاد الأوربي على عهده (2008) بنجاح نسبي بالنظر إلى حجم الأزمات التي تمكنت فرنسا من التفاعل معها وعلى رأسها الأزمة المالية العالمية (سبتمبر 2008) ، الرفض الايرلندي لمعاهدة إصلاح الاتحاد الأوربي، والوساطة في الحرب الروسية – الجيورجية[2].

03 – على مستوى السياسة العربية لفرنسا:

التحول من التوجه الفرنسي العام على عهد شيراك نحو أولوية تبني " سياسة عربية لفرنسا " [3] متمحورة حول شراء النفط العربي وبيع الأسلحة الفرنسية ، إلى إعادة ساركوزي للتوازن في العلاقات الفرنسية – الاسرائيلة بعد فترات التوتر التي تعرضت لها ، تثبت ذلك زيارته الرسمية إلى إسرائيل 22-2008/06/24 وخطابه أمام الكنيست الداعي إلى "تجديد الصداقة " بين البلدين[4]، ومقابلة زعماء المؤتمر اليهودي العالمي أثناء زيارته للولايات المتحدة(نوفمبر 2007). هذه التطورات على المستوى الدولي تعتبر انعكاسا طبيعيا لعلاقة ساركوزي مع " يهود

---

[1] *Chloé Acher, « L'image de Jacques Chirac dans la presse Américaine », **Bultein de l'institut Pierre Rénouvin**, N.25, 2007, p.99.*

[2] *Charles Cogan, **op.cit**, p.91.*

[3] حول موضوع السياسة العربية لفرنسا انظر :

- *Paul Balta et Claudine Rulleau, **La politique Arabe de la France : De de Gaulle a Pampidou** (Paris : Sindbad, 1973).*

- *Ahmed Youssef, **L'Orient de Jacques Chirac : la politique arabe de la France** (Paris : ed. du rocher, 2003).*

[4] *Gilles Andreani, **op.cit**, p.01.*

فرنسا" على المستوى الداخلي، من خلال علاقته الجيدة مع جماعات مصالح يهودية من قبيل المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا CRIF، واتحاد أرباب العمل والمهنيين اليهود في فرنسا UPJF[1] .

3 على مستوى السياسة المغاربية لفرنسا :

بقيت السياسة المغاربية لفرنسا تحتفظ بثوابت محكومة بالمنطق الواقعي الباحث عن مصالح دائمة له في منطقة نفوذ تعتبر مجالا محفوظا *chasse gardée* ، وقد ارتكز الحضور الإمتيازي لفرنسا ***présence préférentielle*** [2] فيها على ارثها التاريخي الاستعماري ، موقعها الجيوسياسي المرتبط بثلاث نظم إقليمية : النظام الشرق – أوسطي ، النظام الإقليمي لغرب المتوسط والنظام الإقليمي لمنطقة الساحل مما جعلها تمثل عمقا استراتيجيا لثلاث قارات : آسيا، أوربا والقارة الإفريقية حيث المصالح التاريخية السياسية ، الاقتصادية والثقافية لفرنسا [3].

إضافة إلى طبيعة المصالح الاقتصادية والتجارية الفرنسية في المنطقة باعتبارها مصدرا لتأمين الموارد الطبيعية والإستراتيجية اللازمة لتنمية الصناعات الثقيلة في فرنسا من النفط، الغاز الطبيعي، الفحم، الحديد، الرصاص والفوسفات.[4] خاصة وأن المنطقة المغاربية تحتوي على حوالي *42 %* من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ، و*10%* من احتياطي النفط العالمي و*60%* من احتياطي الفوسفات العالمي،[5]، وباعتبارها أيضا أسواقا استهلاكية لتصريف السلع الفرنسية المصنعة ، ومجالا للاستثمار الخارجي.

ومن ثمة اتسمت العلاقات المغاربية – الفرنسية على عهد ساركوزي باستمرار استقرار العلاقات مع المغرب وانحيازه له في قضية الصحراء الغربية، الترقب الحذر للأحداث في تونس بعد سقوط نظام بن علي(جانفي 2011) ، علاقات محدودة تتخللها توترات دبلوماسية مع النظام الجزائري بعد تحفظ الجزائر على مشروع الاتحاد من اجل المتوسط ورفض ساركوزي تقديم اعتذارات رسمية عن جرائم الاستعمار في الجزائر[6]، وعلاقات يشوبها الغموض والعدائية مع نظام القذافي في ليبيا انتهت بقيادة فرنسا التدخل العسكري في ليبيا من خلال حلف الناتو .2011

4 - على مستوى السياسة الإفريقية لفرنسا:

---

[1] *Paul- Eric Blancure,* ***Sarkozy, Israël et les juifs*** *(Bruxelles : Macro Pietteur, 2009), p.33.*

[2] سالم برقوق، **الإستراتيجية الفرنسية في المغرب العربي**(الجزائر : طاكسيج .كوم للنشر والدراسات والتوزيع، 2010) ، ص.113

[3] محمد حمشي ، " الاستقرار النظمي :أي تأثير للتحولات الإقليمية على المغرب العربي ؟ " ، **السياسة الدولية**، ع.197، يوليو 2014، ص.23.

[4] علي الحاج، **سياسات دول الاتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص ص.156-157.

[5] أمين البار ومنير بسكري، **مكانة المغرب العربي في السياسة الخارجية الفرنسية** (الإسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية ، 2014)، ص.49.

[6] يقول ساركوزي في هذا الشأن :

« Nul ne peut demander aux générations d'aujourd'hui d'expier ce crime perpétré par des générations passées. Nul ne peut demander aux fils de se repentir des fautes de leurs pères »in : Bart Gilies, ***op.cit****, p.75.*

تم اعتبار الخطاب الشهير الذي ألقاه ساركوزي في جامعة *Cheikh Anta Diop* بدكار (السنغال) في 2007/07/26 – من وجهة نظر الكاميروني العالمثالثي *Achille Mmembre* – خطابا فرنسيا جديدا يعيد كتابة تاريخ إفريقيا متنصلا من كل مسؤوليات المرحلة الكولونيالية ، فقد خاطب ساركوزي الأفارقة بلهجة أبوية *paternaliste* ، اثنو مركزية *ethno-centrist* ، تفتقد إلى الدبلوماسية معتبرا أن التخلف في إفريقيا نتاج عوامل داخلية بالدرجة الأولى وان "الإنسان الإفريقي ما زال يعيش خارج التاريخ".[1]

يتجاهل هذا الخطاب الأهمية العلمية لنظريات الهيمنة الإمبريالية والتبعية كمدخل لتقديم تفسيرات تاريخية للسياسات الخارجية للدول الإمبريالية الكبرى إزاء دول الهامش(وهو ما ينطبق على حالة فرنسا مع مستعمراتها الإفريقية) ، من خلال إهماله لجذور العلاقات الاستغلالية بين الطرفين ، و تقديم أحكام منقطعة عن سياقها التاريخي دون ادني احتراز لمخلفات الإرث الاستعماري الذي انتقل من طوره التقليدي العسكري المباشر إلى مرحلة "الإمبريالية الجديدة"، والتي ألحقت دول المحيط بها اضطراريا في شبكة من العلاقات السياسية، العسكرية، الاقتصادية والثقافية.

2. 2 البعد الأدائي (التفضيلي) في النسق العقيدي للرئيس ساركوزي

يفتقد البعد الأدائي في النسق العقيدي للرئيس ساركوزي إلى إستراتيجية توافقية بين منهج اختياره لأهداف قصوى وبين اختيار الأدوات الأنسب لتحقيقها ، فقد تميزت السياسة الخارجية على عهده بطموح كبير لإعادة فرنسا إلى الأدوار الريادية في المجتمع الدولي من خلال الحضور القوي الذي يتميز به *omniprésence*[2] ، فهو لا يضيع أي فرصة في أن يكون وسيطا أو فاعلا في القضايا ذات الطابع الإقليمي والدولي، قيادته لدبلوماسية فرنسية ديناميكية هدفها التسويق السياسي لمشروعه المتوسطي ، ورغم امتلاكه لقدرات هائلة في التأثير على الآخرين وإقناعهم[3]، فهو متحدث جيد[4] *bon orateur* يتحدث بحماس وكأنه في حملة انتخابية دائمة، إضافة إلى طاقته الحيوية *son hyper-activité* وبراغماتيته غير أن طموحاته لم تعرف التجسيد الفعلي لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

---

[1] جاء في خطاب ساركوزي في دكار ما يلي :

« Le drame de l'Afrique, c'est que l'homme Africain n'est pas assez entré dans l'histoire » in : Bart Gielis, **op.cit**, p.11.

[2] *Louis- Jean Calvet et Jean Véromis, **op.cit**, p.39.*

[3] صلاح مصلح أبو ختلة ، مرجع سابق ، ص.247.

[4] *Charles Cogan, **op.cit**, p.88.*

من أهم العوامل الشخصية التي حالت دون تطبيق مشاريعه انه كان يفتقد فن الإصغاء للآخرين[1]، الإصرار على الدفاع عن خياراته الانفرادية وشخصنة سياساته (على الطريقة البونابرتية)، مواقفه المتسرعة، الاندفاعية والاستفزازية في الكثير من الحالات إزاء قضايا الجاليات المسلمة في فرنسا وأوربا (الهجرة الانتقائية ، التهديد الإسلامي للقيم الفرنسية[2] ، ....) ، تدهور شعبيته والانتقادات الإعلامية له عقب قضايا الفساد السياسي التي ارتبطت باسمه، افتقاد رؤية إستراتيجية واضحة لتجسيد مشروع الاتحاد من اجل المتوسط الذي حمل أهدافا كبرى لا سيما توطيد العلاقات بين أوربا بقيادة فرنسية وجنوب المتوسط من خلال الانتقال إلى أسلوب "صياغة القرارات المشتركة " *co-décision* و"التنمية المشتركة" *co- dévelopement* بدلا عن الثنائية الغير متكافئة :" مركز متـــــــــــــطور وأطراف متخلفة تابعة" [3] ولكن فشل المبادرة اثبت أن السياسة الخارجية لساركوزي هي سياسة تبحث عن آفاق وطموحات واسعة اكبر من إمكاناتها الفعلية بكثير.

أما عن أهم التحديات الموضوعية التي تعيق الدور الفرنسي– كقوة متوسطة في النظام الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية_ وتجعل أداءه محدودا فتكمن في حجم المنافسة الدولية للقوى الكبرى والصاعدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة (الولايات المتحدة ، الصين ، روسيا ، تركيا وإيران...)، تقلص النفوذ الثقافي الفرنكفوني على ضوء عولمة الثقافة الأنجلوسكسونية ، عدم قدرة فرنسا على لعب أدوار فاعلة ووساطات مقنعة في الكثير من الأزمات الكبرى في المنطقة المتوسطية لاسيما الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، الأزمة الجزائرية (1991-1995) الأزمة الليبية، الأزمة السورية، ... وضعف قدراتها الدفاعية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية خاصة بعد عودة " الخطر المضمر"[4] ممثلا في منافستها التاريخية ألمانيا وهو مايبرر سعيها لاحتوائها في إطار الاتحاد الأوربي.

---

[1] صلاح مصلح أبو ختلة ، مرجع سابق ، ص.247.

[2] من أهم تصريحاته في هذا الشأن ما ورد في خطاب له بغرونوبل عام 2012 :

" فرنسا تعاني من نتائج 50 سنة من الهجرة غير المقننة، وهذا الانحراف الذي نلحظه عند الجيل الثاني والثالث للمهاجرين ليس إلا نتيجة لاحتقار القيم الأساسية للمجتمع الفرنسي ".

- انظر أيضا كتابه :

- *Nicolas Sarkozy*, ***La république, les religions, l'espérance,*** 2006.

[3] هاني الشميطلي ، " أوربا والمتوسط : تاريخ العلاقات ومشروع الاتحاد من أجل المتوسط " ، **المجلة العربية للعلوم السياسية** ، ع.19، صيف 2008، ص. 149.

[4] صالح سعود، **الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 إلى الآن (دراسة مستقبلية)** (الجزائر : طاكسيج .كوم للدراسات والنشر والتوزيع ، 2009) ، ص.23.

خاتمة

مع اكتمال معالم السياسة الخارجية الفرنسية لساركوزي (2007-2012)، بدا جليا أن هذه المرحلة قد أسست لقطيعة مع "الإرث الديغولي" الذي شكل أهم الثوابت الإستراتيجية لفرنسا منذ 1958في تطلعها إلى العودة إلى الصدارة العالمية والحفاظ على نزعتها الاستقلالية بعيدا عن التبعية القطبية . كانت أهم القرارات الإستراتيجية التي طبعت توجهات السياسة الخارجية على عهد ساركوزي إيذانا بانتهاء ظاهرة "الاستثناء الفرنسي " *l'exception française* والتوجه نحو النزعة الأطلسية ، كما اتسمت هذه المرحلة بافتقار هذه السياسة إلى بعد أدائي ناجح والى الآليات، الاستراتيجيات والأهداف الأنسب لتحقيقها بناء على جملة من المحددات الشخصية، وتحت تأثير مجموعة من التحديات الداخلية والدولية.

المراجع :

أولا – المراجع باللغة العربية :

أ – الوثائق الرسمية:

- الدستور الفرنسي الصادر في 1957/10/04 وتعديلاته.

ب – الكتب:

- البار (أمين) وبسكري (منير)، مكانة المغرب العربي في السياسة الخارجية الفرنسية (الإسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية، 2014)
- برقوق (سالم)، الإستراتيجية الفرنسية في المغرب العربي (الجزائر : طاكسيج .كوم للنشر والدراسات والتوزيع، 2010)
- جنسن (لويد)، تفسير السياسة الخارجية، تر: محمد بن احمد المفتي ومحمد السيد سليم (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، 1989)
- الحاج (علي)، سياسات دول الإتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005).
- الدليمي (حافظ علوان حمادي)، النظم السياسية في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (عمان : دار وائل للطباعة والنشر، 2001)
- سعود (صالح)، الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 إلى الآن (دراسة مستقبلية) (الجزائر : طاكسيج .كوم للدراسات والنشر والتوزيع ، 2009)
- السيد سليم (محمد)، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1997).
- شلبي (محمد) ، المنهجية في التحليل السّياسي : المفاهيم ، المناهج ، الاقترابات والأدوات (الجزائر :

دار هومة ، 2002)

- نصر عارف (محمد) ، ابستيمولوجيا السياسة المقارنة (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2002)

ج – المقالات:

- أبو ختلة (صلاح مصلح) ، " اثر العوامل الشخصية في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا: دراسة حول سياسة الرئيسين شيراك وساركوزي" ، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات ، ع.05، يوليو 2013.
- حمشي (محمد) ، " الاستقرار النظمي: أي تأثير للتحولات الإقليمية على المغرب العربي ؟ " ، السياسة الدولية، ع.197، يوليو 2014.
- الشميطلي (هاني)، " أوربا والمتوسط : تاريخ العلاقات ومشروع الإتحاد من أجل المتوسط " ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، ع.19، صيف 2008.

.ثانيا – بالمراجع باللغات الأجنبية :

A-livres -

- *Blancure(Paul- Eric), Sarkozy, Israël et les juifs (Bruxelles : Macro Pietteur, 2009)*
- *Calvet(Louis- Jean) et Véromis(Jean), Les mots de Nicolas Sarkozy (Paris : éditions du seiul, 2008)*
- *Mintz(Alex)and Deroun (Karl),Understanding Foreign policy decision making (New York : Cambridge University press ,2010)*
- *16 - Paquez (Anne – Sophie), La politique de la France au Kosovo était – elle « gaulliste » ? (Genève : Publications Euryopa, 2003)*
- *Rosenau (James) (ed) s, International politics and foreign policy (New York: free press, 1969)*
- B-Articles
- *Acher (Chloé), « L'image de Jacques Chirac dans la presse Américaine », Bultein de l'institut Pierre Rénouvin, N.25, 2007.*
- *Andreani(Gilles), « La politique étrangère de Nicolas Sarkozy », Annuaire*

français des relations internationales, Vol.x, 2009.

- *Bricher(Michael) , Steinberg(Belma) and Stein(Janice), " A framework for research on foreign policy behavior " , Journal of conflict resolution , X lll, March 1969 .*
- *Cogan (Charles), « Les grands axes de la présidence Sarkozy à l'international », Revue internationale et stratégique, N.77, jan.2010*
- *Holsti (Ole), " The belief system and national images: a case study " , Conflict resolution , Vol .Vl , N°-3, P.244.*
- *Renshon (Johathan) ,"Stability and change in belief systems: The operational code of George w.Bush " , Journal of conflict resolution , Vol .52,N.6,2008*

C-Mémoires

- *Don Gilbert (Jerry), John Foster Dulles ' perceptions of The people 'S republic of China: a study of belief systems and perception in The analysis of foreign policy decision making (Unpublished dissertation in political sciences) , Texas tech University ,Dec .1973.*
- *Kjolvik(Anne –Kate), Une analyse du discours politique des chefs d'états Français et Norvégien a la suite d'un attentat dans leurs pays (mémoire de master présenté a l'Université de Bergen, sept.2013)*